سخرتم واستعبد يارا وانتسخها محمد من اهل الكتاب فهي اي فتنسب عن
تكلفه ذلك انها تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها بكرة قبل ان تنتشر الناس
واصيلا اي عشيا ياوون الى مساكنهم او دايما ليتكلف حفظها بالانتساخ
لانه امي لا يقدر ان يكون من الكتاب او ليكتب وهذا كما ترى لا يقوله
من له مسكة في عقل او مروة كيف وهو يدعوهم الى المعارضة ولو بسورة من
مثله ومنهم الكتاب والشعرا والبلغا والخطبا وهم اكثر منه مالا واعظم اعوانا
ولا يقدرون على شي منه فان قيل كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال
املت عليه فهي يكتبها اجيب بوجهين احدهما اراد اكتتابها
وطلبه فهي تملى اي تلقى عليه من كتاب ليحفظها لان صورة الالقا على الحافظ
كصورة الالقا على الكاتب وقرا فهي قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الها والباقون بكسرها ثم امر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى قل اي دالا
على بطلان ما قالوه ومهددا لهم انزله الذي يعلم السر اي الغيب في السموات
والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة
واشيا مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين مع علمكم
ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراته
بما تبهتونه وهو يجازيكم على ما علم منكم وعلم منه فان قيل كيف يطابق هذا قوله
تعالى انه كان اي ازلا وابدا غفورا رحيما اجيب بانه لما كان ما تقدمه
في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة
الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه
ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم لانه غفور رحيم
يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة قوله وقالوا ما لهذا الرسول اي ما لهذا الذي
يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم وتصغير لشانه وتسميته بالرسول
سخرية منهم كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل
حالنا ياكل الطعام اي كما ناكل ويمشي اي يتردد في الاسواق لطلب
المعاش كما نمشي فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة يعنون انه يجب ان يكون
ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب والتزيد والتعيش وكذلك
كانوا يقولون له لست انت بملك لانك تاكل الطعام والملك لا ياكل
ولان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وما قالوه فاسد لان اكله الطعام
لكونه ادميا ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة
ولم يكن سخابا في الاسواق وليس شي من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه
ملك من الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون
انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف فقالوا لولا اي هلا

انزل

انزل اليه ملك اي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا ثم
نزلوا ايضا الى انه لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز فقالوا او يلقى اليه
كنز اي ينزل عليه كنز من السما ينفقه فلا يحتاج الى المشي في الاسواق
لطلب المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان فقالوا او تكون له
جنة اي بستان ياكل منها اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان
كالمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون اي ناكل نحن منها فيكون
له مزية علينا بها والباقون بالياء وقوله تعالى وقال الظالمون وضع فيه الظاهر
موضع المضمر اذ الاصل وقالوا تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا ان اي ما
تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا مغلوبا على عقله وقيل مصروفا عن
الحق ولما انهى تعالى ما ذكر من اقوالهم الناشية عن ضلالهم التفت سبحانه
وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله تعالى انظر اي يا افضل
الخلق كيف ضربوا لك الامثال اي بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى
ملك يقوم معه بالامر فضلوا اي بذلك عن جميع طرق الهدى فلا يستطيعون
اي في الحال ولا في المال بسبب الضلال سبيلا اي سلوك سبيل من السبل الموصلة الى
ما يستحق ان يقصد بل هم في مجاهل موحشة وفيافي مهلكة ولما ثبت انهم
لا علم لهم ولا قدرة اثبت لنفسه سبحانه وتعالى ما يستحق من الكمال
الذي يفيض به على من يشا من عباده ما يشاء بقوله تعالى تبارك اي ثبت
ثباتا مقترنا باليمن والبركة لا ثبات الا هو الذي ان شاء فانه لا مكره له
جعل لك اي في الدنيا خيرا من ذلك اي من الذي قالوه على طريق التهكم
من الكنز والبستان وقوله تعالى جنات بدل من خيرا ويجوز ان يكون منصوبا
باضمار اعني ثم وصفها بقوله تعالى تجري من تحتها الانهار اي تكون ارضها
عيونا نابعة اي موضع اريد منه اجرا نهر جرى فهي لا تزال ريا تغني صاحبها عن
كل حاجة ولا تحوجه في استمرارها الى سقي ويجعل لك قصورا ايضا وهي جمع
قصر وهي المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة
والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون
مسكنا ومتنزها ويجوز ان تكون القصور مجموعة وقال مجاهد ان شاء
جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا ولم يشا سبحانه وتعالى ما اشار اليه
في هذه الاية الشريفة في هذه الدنيا الفانية واخره الى الاخرة الباقية وقد عرض
عليه سبحانه وتعالى عليه الصلاة والسلام ما شاء من ذلك فاباه روي عنه
عليه الصلاة والسلام انه قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت
لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت
اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وعن عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي جبال مكة الذهب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)